بعيَّني قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما و دعوكم و أتركوا التّرك ما تركوكم فلمّا فرغ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش في نحو عشرة ألاف بمن معهم من كنانة و أهل تهامة و أقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتّى نزلوا إلىٰ جانب أحد، خرج رسول اللّه و المسلمون حتّىٰ نزلوا بظهر سلع في ثلاثة ألاف و ضربوا عسكرهم و الخندق بينهم و بين المشركين و إستعمل على المدينة إبن أمّ مكتوم و خرج عدّو اللّه حيّ بن أخطب النَّضري حتّىٰ أتى كعب بن أسد القُرظّي و كان صاحب عقد بني قريظة و رئيسهم و كان قد واعد رسول اللّه و عاقده و عاهده فلمّا سمع كعب بن أسد حيّ إبن أخطب أغلق دونه حصنه و أبى أن يفتح له فقال له حيّ إبن أخطب إفتح لي يا أخي فقال له كعب لا أفتح أنّك رجل مشؤم تدعُوني إلى خلاف محمّد و أنا عاقدته و عاهدته و لم أر منه إلاّ وفاءً و صدقاً فلست بناقضٍ ما بيني وبينه فقال حيّ إفتح لي حتّىٰ أكلّمك فقال لا أفعل فقال حيّ أنّما تخاف أن أكل معك حشيشك فغضب كعب و فَتح له فقال ياكعب أنّما جئتك بعزّ الدّهر جئتك بقريش و سادتها و غطفان و قادتها و قد تعاقدوا علىٰ أنّ يتسأصلوا محمّداً و من معه فقال له كعب جئتني و اللّه بذّل الدّهر و بالجملة أصرَّ حيّ إبن أخطب على كعب حتّى وافقه و عاقده علىٰ خلاف رسول اللّه فأقام رسول اللّه و أقام المشركون بضعاً و عشرين ليلة قريباً من شهر لم يكن بينهم حرب إلاّ الرَّمي بالنَّبل و الحصى فلمّا رأىٰ رسول اللّه أنّه إشتدّ علىٰ المسلمين البلاء بعث إلى عينية بن حصن الفزاري و إلى الحارث بن عوف المرّي و هما قائدان غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان و يؤخذ قريشاً و رجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقالة مراوضة و لم تكن عقداً فلمّا رأىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم منهما أنّهما قد أنابا و رضيا أتى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة فذكر ذلك لهما و إستشارهما فقالا يارسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم هذا أمرٌ تحبّه فنصنعه لك أو شيءٍ أمرك اللّه به فنسمع له و نطيع، أو

أمرٌ تصنعه لنا، فقال رسول اللّه بل أمرٌ أصنعه لكم واللّه ما أصنعه إلاّ إنّي قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة فقال سعد بن معاذ يارسول اللّه لقد كنّا نحن و هؤلاء القوم على الشِّرك باللّه و عبادة الأوثان لا نعبد اللّه و لا نعرفه و ما طمعوا قطّ أن ينالوا منا ثمرة إلاّ شراءً أو قرّي فحين أكرمنا اللّه بالإسلام و هدانا له و أعزّنا بك نعطيهم أموالنا واللّه لا نعطيهم إلاّ السّيف حتّى يحكم اللّه بيننا و بينهم فسَّر رسول اللّه بذلك و قال أنتم و ذاك، و قال لعينية و الحارث انصرفا و ليس لكما عندنا إلاّ السَّيف و تناول سعد الصَّحيفة و ليس فيها شهادة فمحاها، فأقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و المشركون يحاصرونهم و لا قتال بينهم إلاّ أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدودّ العامري و عكرمة بن أبي جهل و هبيرة بن أبي وهب و ضرار بن الخطّاب الفهّري و كانوا فرسان قريش و شجعانهم أقبلوا حتّىٰ وقفوا فلمّا رأوه قالوا أنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثمّ إختاروا مكاناً ضيّقاً من الخندق فضربوا خيلهم فإقتحمت بهم و جاوزوا الخندق و صاروا بين الخندق و بين سلع و خرج علّي بن أبي طالب في نفرٍ من المسلمين حتّىٰ أخذوا عليهم الثّغرة التّي إقتحموا منها و أقبلت الفرسان نحوهم و كان عمرو بن عبدودّ قد أثبتته الجراح يوم بدر فلم يشهد أحد و أراد يوم الخندق أن يرى مكانه فلمّا وقف هو و خيله نادىٰ من يبارز فبرز له أميرالمؤمنين فقال له عمرو أرجع يابن الأخ فما أحبّ أن أقتلك فقال له علّي عليه السلام قد كنت يا عمرو عاهدت اللّه أن لا يدعوك رجل من قريش إلىٰ أحدىٰ خصلتين إلاّ إخترت إحداهما قال أجل فما ذاك قال عليه السلام أدعوك إلى اللّه و رسوله و الإسلام قال لا حاجة لي إلىٰ ذلك قال فإنّي أدعوك إلى النزّال فقال إرجع فقد كان بيني و بين أبيك مودّة و خلّة و ما أحبّ أن أقتلك فقال علّي عليه السلام و اللّه إنّي أحبّ أن أقتلك مادمت أبياً للحقّ فحمى عمرو عند ذلك فقال أتقتلني و نزل عن فرسه فعقره و ضرب وجهه نفر و أقبل على علّي مصلتاً بسيفه و بدره بالسّيف فنشب سيفه في ترس عليّ فضربه أميرالمؤمنين ضربة

فقتله فلمّا رأى عكرمة إبن أبي جهل و هبيرة بن أبي وهب و ضرار بن الخطّاب عمروا صريعاً و لّوا بخيلهم منهزمين حتّىٰ إقتحموا الخندق و لا يلوون إلىٰ شيءٍ و إنصرف أميرالمؤمنين إلى مقامه الأوّل و قد كادت نفوس الّذين خرجوا معه الى الخندق تطير جزعاً و هو عليه السلام يقول:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت دين محمّدٍ بضراب
نازلته فتركته متجدلاً كالجذع بين دكادكٍ و روابي
وعففت عن أثوابه ولو أنّني كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبنّ اللّه خاذل دينه ونَبيَّه يامعشر الأحزاب

و قد روي الواقدي بأسناده عن الزُّهري قال جاء عمرو بن عبدودّ و عكرمة ابن أبي جهل و هبيرة بن أبي وهب و نوفل بن عبد اللّه و ضرار بن الخطّاب يوم الأحزاب إلىٰ الخندق فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه فيعبرون حتّىٰ إنتهوا إلىٰ مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت فجعلوا يجيلون خيولهم فيما بين الخندق و سلم المسلمون وقوف لا يقدم منهم أحدٌ و جعل عمرو بن عبدودّ يدعوا إلى البراز و يعرض المسلمين، ولد بححت من النّداء بجمعهم هل من مبارزٍ، و في كلّ ذلك يقوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليبارزه فيأمره رسول اللّه بالجلوس إنتظاراً منه ليتحرّك غيره و المسلمون كأنّ على رؤوسهم الطّير لمكان عمرو بن عبدودّ و الخوف منه و ممّن معه فلمّا طال نداء عمرو بالبراز و تتابع قيام أميرالمؤمنين قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أدن منّي يا عليّ فدنا منه فنزع عمامته من رأسه و عمَّمه بها و أعطاه سيفه و قال صلى الله عليه وآله وسلم إمض لشأنك ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم أعنه فسعا نحو عمرو و معه جابر بن عبد اللّه الأنصاري لينظره ما يكون منه و من عمرو فلمّا إنتهىٰ عليّ عليه السلام إليه قال له يا عمرو أنّك كنت في الجاهليّة تقول لا يدعوني أحَد إلىٰ ثلاث و اللاّت و العزّىٰ إلاّ قبلتها أو واحدة منها قال عمرو أجل قال عليه السلام فإنّي أدعوك إلىٰ شهادة أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّداً رسول اللّه و أن تسلم لربّ العالمين قال عمرو يابن أخي أخرّ هذه

عنّي فقال له عليه السلام أما أنّه خيرٌ لك لو أخذت بها ثمّ قال عليه السلام فهاهنا أخرى قال و ما هي قال عليه السلام ترجع من حيث جئت قال لا تحدّث نساء قريش هذا أبداً قال عليه السلام فهاهنا أخرى قال و ما هي قال تنزل فتقاتلني فضحك عمرو و قال هذه الخصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يروننى عليها أنّي لاكره أن أقتل الرّجل الكريم مثلك و قد كان أبوك لي نديماً قال عليٌّ عليه السلام لكنّي أحبّ أن أقتلك فأنزل إن شئت فأسف عمرو و نزل و ضرب وجه فرسه حتّىٰ رجع فقال جابر رحمة اللّه فثاترت بينهما قترة فما رأيتهما فسمعت التّكبير تحتها فعلمت أنّ عليّاً قد قتله فإنكشف أصحابه حتّى ظفرت خيولهم الخندق و تبادر أصحاب النّبي حين سمعوا التّكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد اللّه في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة أجمل من هذه ينزل إلَّي بعضكم أقاتله فنزّل إليه أميرالمؤمنين فضربه حتّىٰ قتله و لحق عبيرة فأعجزه و ضرب قربوس سرجه و سقطت درعٌ كانت له وفرَّ عرمة و هرب ضرار بن الخطّاب فقال جابر فما شبّهت قتل علّي عمرواً إلاّ بما قصّ اللّه من قصّة قتل داود جالوت حيث يقول: **فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**[1] وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **ضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين.**

و قد روي قيس إبن الرَّبيع قال حدَّثنا أبو هروان العبدي عن ربيعة السّعدي قال أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له يا أبا عبد اللّه إنّا لنتحدّث عن علّي و مناقبه فيقول لنا أهل البصرة أنّكم تفرطون في علّي فهل أنت محدّثي بحديثٍ فيه فقال حذيفة يا ربيعة و ما تسألني عن علّي عليه السلام فوالّذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّدٍ في كفّة الميزان منذ بعث اللّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة و وضع عمل عليّ في الكفّة الأخرىٰ لرجّح عمل علّي علىٰ جميع أعمالهم فقال ربيعة هذا الّذي لا يقام له و لا يقعد و لا

١- البقرة = ٢٥١

يحمل فقال حذيفة يالكع و كيف لا يحمل و أين كان أبوبكر و عمر و حذيفة و جميع أصحاب محمّد يوم عمرو بن عبدود و قد دعا إلىٰ المبارزة فأحجم النّاس كلّهم ما خلا عليّاً فأنّه برز إليه و قلته اللّه علىٰ يده والذّي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد إلىٰ يوم القيامة.

و قد روى هشام بن محمّد عن معروف بن جربوز قال قال علّي بن أبي‌طالب يوم الخندق:

أعلّي تقتحم الفوارس هكذا ... عنّي وعنها خبّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمّمٌ في الرّأس ليس ببابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهنّدٍ ... صافي الحديد مجرّبٌ قرضابي

و روى يونس إبن بُكير عن محمّد بن إسحاق قال لمّا قتل علّي بن أبي طالب عمراً أقبل نحو رسول اللّه و وجهه يتهلّل فقال له عمر بن الخطّاب هلاّ سلبته يا علّي درعه فأنّه ليس في العرب درعٌ مثلها فقال عليٌّ عليه السلام أنّي إستحييت أن أكشف عورته (سُوءته). و روي أنّه لما إجتزّ رأسه فحمله و ألقاه بين يدي النّبي صلى الله عليه وآله فقام أبوبكر و عمر فقبّلا رأس علّي عليه السلام و لنعم ما قال أبو بكر بن عياش حيث قال لقد ضَرب عليٌّ ضربةً ما كانَ في الإسلام أعزّ منها يعني ضربة عمرو بن عبدودّ و لقد ضرب عليٌّ ضربة ما ضرب في الإسلام أشأم منها يعني ضربة إبن ملجم لعنة اللّه عليه.

و لقد روى يوسف بن كليب بأسناده عن عبد اللّه بن مسعُود أنّه كان يقرأ و كفى اللّه المؤمنين القتال بعلّي و كان اللّه قوّياً عزيزاً و في قتل عمرو بن عَبدودّ يقول حسّان إبن ثابت الأنصاري:

أمسى الفتىٰ عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب غارةً لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورةً ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدرٍ عصبةً ... ضربوك ضرباً غير ضرب المخسِر
أصبحت لا تدعىٰ ليوم عظيمةٍ ... ياعمرو أو لجسيم أمرٍ منكرٍ

فلمّا قال حسّان هذه الأشعار في مدح الأنصار و لم يذكر من علّيٍ شيئاً و أنّه قتل عمروا وهو من المهاجرين قال فتىً مِن الأحزاب في جوابه:

كـــذبتم وبـــيت اللّـــه لا تـــقتلوننا ولكـن بسـيف الهـاشميّين فأفـخروا
بسيف إبن عبد اللّه أحمد في الوغا بكـــفّ عـــلّيٍ نـــلتم ذاك فـإقصروا
ولم تقتلوا عمرو بـن عـبدٍ ببأسكم ولكـنّه الكـفوء الهـزبر الغـضيفر
علّي الّـذي فـي الفـخر طـال ثـنائه ولا تكثروا الدّعوىٰ علينا فـتحقروا
بـــبدرٍ خـرجـتم للـبراز فـرَّدكم شـيوخ قـريشٍ جـهرةً و تأخّـروا
فـــلمّا أتـــاهم حـمزةُ و عـبيدةُ وجـــاء عـلّيُ بـالمهنّد يـخطروا
فـقالوا نـعم أكـفاء صِـدق فأقـبلُوا إليـهم ســراعـاً إذ بـغوا وتـجبّروا
فـــجال عـــلّيُ جـولةً هـاشمّيةً و دمَّـــرهم لمّـا عـتوا وتكـبّروا
فـليس لكـم فـخرُ عـلينا بـغيرنا وليس لكـــم فـخرُ يـعدّ و يـذكر

و قد روى عبد العزيز بأسناده عن أبي الحسن المدائني أنّه قال لمّا قتل علّي بن أبي طالب عمرو بن عبدودّ نعىٰ إلىٰ أخته فقالت من ذا الّذي إجترأ عليه فقالوا علّي بن أبي طالب فقالت موته علىٰ يد كفوٍ كريم أنّ عمروا قتل الأبطال و بادر الأقران و كانت منيّته علىٰ يد كفوٍ كريمٍ من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يابني عامر ثمّ أنشأت تقول:

لو كـان قـاتل عـمروٍ غـير قـاتله لكـنت أبكي عـليه أخـر الأبـد
لكـنّ قـاتل عـمروٍ لا يُـعاب بـه من كان يدعى قديماً بيضة البلد

و لمّا قتل أميرالمؤمنين عمروا و من معه إنهزم الأحزاب و وَلوا عن المسلمين فعمد رسول اللّه قصد بني قريظة و أنفذ أميرالمؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج و كان الفتح أيضاً بيد علّي عليه السلام فأقام النّبي صلى الله عليه وآله محاصراً لبني قريظة خمساً و عشرين ليلة حتّىٰ سئلوه النزّول علىٰ حكم سعيد بن معاذ فحكم فيهم سعد بقتل الرّجال و سبي الذّراري و النّساء و قسمة الأموال فقال النّبي يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم اللّه فأمر النّبي بإنزال الرّجال منهم و

كانوا تسعمائة رجل فجئ بهم الى المدينة و قسّم الأموال و أستَّرق الذّراري و النّسوة و لمّا جئ بالأسارى الىٰ المدينة في دارٍ من دور بني النّجار و خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الى موضع السُّوق اليوم فخندق فيه خنادق و حضر أميرالمؤمنين و خرج و معه المسلمون و أمرهم أن يخرجوا و تقدّم الىٰ أميرالمؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخندق فأخرجوا إرسالاً و فيهم حيّ إبن أخطب و كعب بن أسد و هما إذ ذاك رئيس القوم فقالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم الى رسول اللّه يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال في كلّ موطنٍ لا تعقلون ألا ترون الدّاعي لا ينزع و من ذهب منكم لا يرجع هو واللّه القتل و جئ بهما إبن أخطب مجموعة يداه الىٰ عنقه فلّما نظر الى رسول اللّه قال أما واللّه مالت نفسي الى عداوتك و لكن من يخذل اللّه يخذل ثمّ أقبل الى النّاس و قال أيّها النّاس أنّه لابدّ من أمر اللّه كتاب و قدر و ملحمة ثمّ قتل الى آخر ما ذكره المؤرّخون و إنّما نقلناه ما نقلناه من قصّة الأحزاب بطوله و تفصيله لأنّ تفسير الآيات موقوفٌ على العلم بأصل القضية فلنرجع الىٰ تفسير ألفاظ الآية.

و نقول قوله تعالىٰ: **يٰٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جٰآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا** و هم قريش و غطفان و اليهود على ما مرّ تفصيله **فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهٰا** قال مجاهد هي الصّباء أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتّى ألقت قدورهم و نزعت فساطيطهم و الجنود الملائكة و لم تقاتل يومئذٍ و لم يروها بأعينهم لأنّ الملك لا يرى بالبصر **وَ كٰانَ ٱللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** لا يخفى عليه شئ **إِذْ جٰآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ** فالذّين جاؤوا من فوقهم عينية بن حصين بن بدر في أهل نجد، و من جاء من أسفل فهم أبو سفيان في قريش **وَ إِذْ زٰاغَتِ ٱلْأَبْصٰارُ** من رؤية الجنود **وَ بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنٰاجِرَ** من الخوف من كثرة العدوّ **وَ تَظُنُّونَ بِاللّٰهِ ٱلظُّنُونَا** فظنّ المؤمن أنّه سينصر و ظنّ المنافق أنّه سيغلب و يستأصل.

روي أنّ المنافقين من المسلمين أظهروا كثيراً ممّا كانوا يسرّون به فمنهم من قال أنّ بيوتنا عورة فلننصرف إليها فإنّا نخاف عليها، و منهم من قال يعدنا محمّد أن يفتح كنوز كسرى و قيصر، و أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه يذهب الى الغائط و هكذا و من المعلوم أنّ المنافق آفة الّدين و الدّنيا و أكثر المسلمين في صدر الإسلام كانوا منهم.

قال اللّه تعالى: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ ٱلشَّكُورُ** ألا ترىٰ أنّ أبا بكر و عمر قَبّلا رأس علّي بعد قتله عمرو بن عبدود في حضور النّبي صلى الله عليه وآله و فعلا به ما فعلا بعد موته وقس على هذا غيرهما ممّن أعانهما في الظُّلم على أهل بيت الرّسول فأعتبروا يا أولي الألباب.

هُنالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيدًا

لمّا وصف اللّه تعالى شدّة الأمر يوم الأحزاب و خوف المسلمين من الأعداء و أن القلوب منهم بلغت الحناجر، جمع حنجرة و هي الحلق من الرُّعب و الخوف لكثرة الأعداء و قلّة المسلمين.

قال هنالك، أي يوم الخندق أبتلي المؤمنون أي أختبروا ليظهر بذلك حسن نيّاتهم و صبرهم على ما أمرهم اللّه من جهاد أعدائه، و (هنا) للقريب من المكان (و هنالك) للبعيد (هناك) للمتّوسط و الإبتلاء إظهار ما في الباطن من خيرٍ أو شّرٍ و مثله الإختبار و الزّلزال الإضطراب العظيم أشار اللّه تعالى بذلك الى شدّة خوف المسلمين يوم الخندق بحيث وقعوا من شدّة الخوف الى الإضطراب والدّهشة ففي الآية إشارة الى ما منَّ اللّه تعالى عليهم من النّصر و الفتح.

وَ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنافِقُونَ وَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا ٱللّٰهُ وَ رَسُولُهُ إِلّٰا غُرُورًا

أي كانوا يقولون أنّ ما وعدنا اللّه من النّصر و الظّفر على الأعداء، ما وعدنا الرّسول من كنوز كسرى و قيصر، ليس إلاّ غروراً، غرّنا به فالغرور إبهام المحبوب بالمكر و الغرور الشّيطان قيل الّذي قال هذا القول هو معتب بن قيسرة.

وَ إِذْ قٰالَتْ طٰآئِفَةٌ مِنْهُمْ يٰآ أَهْلَ يَثْرِبَ لاٰ مُقٰامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ اَلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنٰا عَوْرَةٌ وَ مٰا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاّٰ فِرٰارًا

أخبر اللّه تعالى في هذه الآية عن طائفةٍ أخرى من المنافقين الّذين غلب عليهم الخوف أو أرادوا الفرار من المعركة، حيث قالوا يا أهل يثرب، و هو المدينة لا مقام لكم أي ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال، هذا إذا قرئ اللّفظ أي (مقام) بفتح الميم و أمّا على قراءة الضّم أراد لا إقامة لكم ذكره الأحفش، قيل القائل هو أوس بن قبطي و من وافقه على رأيه و قوله: **فَارْجِعُوا** أمرهم بالرّجوع الى منازلهم و على هذا الخطاب للأنصار، (ويستأذن فريق منهم) هم طائفة أخرى من المنافقين كانوا يستأذنون النّبي للرّجوع الى المدينة و قالوا بيوتنا عورة، أي هي مكشوفة نخش عليها السّرق فكذّبهم اللّه في قوله: **وَ مٰا هِيَ بِعَوْرَةٍ** أي ليست بيوتهم عورة بل يريدون بهذا القول الفرار من القتال و الجهاد و من المعلوم أنّه من علائم النّفاق ثمّ أشار اللّه تعالى الى دقيقةٍ أخرى و هي قوله:

وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطٰارِهٰا ثُمَّ سُئِلُوا اَلْفِتْنَةَ لَآتَوْهٰا وَ مٰا تَلَبَّثُوا بِهٰآ إِلاّٰ يَسِيرًا

الأقطار جمع قطر و هو الناحيّة و الضمير في أقطارها، راجع على المدينة و قيل على البيوت و المآل واحد، و قوله: **لَآتَوْهٰا** بالقصر و المَّد، قرأ النّافع و إبن كثير بالقصر و قرأ الباقون بالمدّ و عليه المصاحف و هو المشهور بين القرّاء.

و الفتنة يعني الكفر و الضّلال فعلى القول بالقصر معنى الآية لو دخلت هذه العساكر التّي يفرّون خوفاً منها مدنيتهم و بيوتهم من نواحيها و جوانبها كلّها، و إنثالت على أهاليهم و أولادهم ناهيين سابّين ثمّ سألوا عند ذلك الفزع و تلك الرَّجفة، الفتنة، أي الرَّدة و الرَّجفة إلى الكفر و الضّلال و مقابلة المسلمين لاتوها، أي لفعلوها.

و أمّا على قراءة المدّ فمعنى الكلام لأعطوها، أي لأعطوا ما سئلوا إعطائه من ذلك، **وَ مٰا تَلَبَّثُوا بِهٰآ إِلّٰا يَسِيرًا**، التلبُّث المكث و هو فى المقام كناية عن البقاء أي لا يعيشون فيها إلاّ يسيراً أي قليلاً حتّى يهلكوا و حاصل الكلام في الآية أنّهم إلى الكفر و الضّلال أقرب منهم إلى الإيمان كما هو شأن المنافق فأنّه يظهر الإسلام و الإيمان و يبطن الكفر و الضّلال و بعبارةٍ أخرى أنّهم همج رعاء أتباع كلّ ناعقٍ يميلون مع كلّ ريح ولا يستضيئون بنور الهدى و المعرفة و ذلك لأنّهم إذا لقوا الّذين أمنوا قالوا أمنّا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن.

وَ لَقَدْ كٰانُوا عٰاهَدُوا ٱللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لٰا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبٰارَ وَ كٰانَ عَهْدُ ٱللّٰهِ مَسْئُولًا

في هذه الآية أشار اللّه تعالى إلى نقضهم العهود و المواثيق و أنّ المنافق لا يفي بعهده و ميثاقه فلا يعتمد على قوله و عهده و ذلك لأنّهم عاهدوا اللّه بعد قبولهم الإسلام أن ينصروا الدّين و النّبي كنصرتهم أقربائهم و أولادهم و هذا الّذي ذكرناه ثابت في حقّ الأنصار فأنّهم أسلموا و بايعوا النّبي على ذلك مضافاً إلى أنّه ينبغي للمسلم أن يعمل بأحكام الإسلام و منها الجهاد في سبيل اللّه فمن نافق ناقض عهد اللّه و رسوله و من ينقلب على عقبيه فلن يضّر اللّه شيئاً و سيجزي اللّه الشّاكرين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلًا

كلمة، لن، لنفي الأبد و المعنى قل يا محمّد لهؤلاء المنافقين فراركم من الموت أو القتل لا ينفعكم أبداً و ذلك لأنّ الموت حقٌّ على رقاب العباد:

قال اللّه تعالى: **إِذا جٰآءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ**[١].

قال اللّه تعالى: **إِنَّ أَجَلَ ٱللّٰهِ إِذا جٰآءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**[٢].

و إذا كان الموت حقّاً لا محيص عنه، فالقتل في سبيل اللّه أحسن من الموت على الفراش فلا معنى للفرار عن الجهاد بل ينبغي الإقبال إليه و لنعم ما قيل في هذا المعنى:

فأن تكن الأبدان للموت أنشأت فقتل إمرؤٍ بالسّيف في اللّه أفضل

و أن تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلّة سعى المرء فى‌الكسب أجمل

هذا كلّه مضافاً إلى ما وعد اللّه المجاهدين في سبيل اللّه من الأجر و الثّواب في الأخرة و قد مرَّ الكلام فيه غير مرَّةٍ بمناسبة الأيات.

و أمّا قوله: **وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلًا** فالتّمتع الحظّ و النَّصيب من لذائذ الدّنيا:

قال اللّه تعالى: **وَ مَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيٰآ إِلّا مَتٰاعُ ٱلْغُرُورِ**[٣].

قال اللّه تعالى: **وَ مَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيٰآ إِلّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ**[٤].

قال اللّه تعالى: **فَمَا مَتٰاعُ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيٰا فِى ٱلْاٰخِرَةِ إِلّا قَلِيلٌ**[٥].

و الأيات كثيرة و قد مرّ الكلام في هذا الباب أيضاً بما لا مزيد عليه.

١- يُونس = ٤٩
٢- نُوح = ٤
٣- آل عمران = ١٨٥
٤- الأنعام = ٣٢
٥- التّوبة = ٣٨

قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا

أي قل يا محمّد لهؤلاء المنافقين الفارّين من الجهاد فى سبيل اللّه من ذا الّذى يعصمكم من اللّه أي يحفظكم منه و يمنعكم عمّا أراد بكم من سوء و رحمة فأنّ أحداً لا يقدر على منعه ممّا يريد أن يفعله به و لا يجدون هؤلاء المنافقين من دون اللّه وليّاً و لا نصيراً يدفع عنهم السُّوء أو يعطيهم الرَّحمة و الحاصل أنّ أمور الخلق بيده و ما سواه كائناً ما كان محتاج إليه فينبغي للعبد أن يستمّد منه و يستعين به في جميع شئونه فالفرار من الجهاد مثلاً إن كان بقصد الفرار من الموت أو القتل فهو لا يفيد لأنّ الموت بيده لا بيد غيره و أن كان لغرضٍ أخر فهو أيضاً لا يفيد لأنّ أزمّة الأمور بيده و هذا ظاهرٌ:

قال اللّه تعالىٰ: **قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**[1].

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ ٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا

أخبر اللّه في هذه الآية عن طائفة أخرى من المنافقين و هم الّذين كانوا يمنعون إخوانهم في الدّين أو في النّفاق عمّا كانوا فيه من البقاء علىٰ الجهاد فيقولون لهم هلمّ إلينا أي تعالوا إلينا و أتركوا الجهاد، و أنّما قال تعالى: **هَلُمَّ إِلَيْنَا** بصيغة المفرد ول م يقل هلّموا، بصيغة الجمع مع أنّ الأخوان بصيغة الجمع لأنّ لآية نزلت على لغة الحجاز، و هلّم، لغة أهل الحجاز و أمّا غيرهم فيقولون، هلّموا، للجماعة و هلمّي للمرأة و قوله: **وَ لَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ**، فالبأس كناية عن الحَرب أخبر اللّه أنّه لا يأتُون الحرب منهم إلاّ قليلاً.

١- الجمعة = ٨

و قال بعض المفسّرين معناه، أن يكلّفوا الحضور إلى القتال فلا يحضرون إلاّ قدر ما يوهمون أنّهم معكم و لا يقاتلون معكم فهو تعالى عالم بأحوال هؤلاء لا يخفى عليه شئ من أعمالهم و نيّاتهم فأنّه بكلّ شئ عليم.

أقول هذا تفسير ألفاظ الآية و بيان المقصود منها و الّذي يختلج بالبال في هذه الآية هو أنّ ذنب هؤلاء الّذين أشار إليهم في الآية أعني بهم المانعين إخوانهم عن الجهاد، أعظم و أشدّ من الّذين فرّوا من الجهاد و ذلك لأنّ السّابقين إرتكبوا ذنباً واحداً و هو الفرار من الجهاد و أمّا المانعون فقد إرتكبُوا ذنبين، ذنب الفرار و ذنب فرار الغير، و الفرق بين المقامين هو الفرق بين الضّلال و الإضلال و من المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ ذنب المضِّل أعظم من ذنب الضّال كما أنّ الأمر بالمنكر أخبث من فاعله و هو واضح.

و قال القُرطبي في تفسيره لهذه الآية في قوله تعالىٰ: **وَ ٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا** فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه إلاّ أكلة رأسٍ، و هو هالك و منعه فهلمّ إلينا.

الثّاني: أنّهم اليهود من بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلمّ أي تعالوا إلينا و فارقوا محمّداً صلى الله عليه و آله و سلم فأنّه هالك و أنّ أبا سفيان إن ظفر بكم لم يبق منكم أحداً.

الثّالث: ما حكاه إبن زيد أنّ رجلاً من أصحاب النّبي صلى الله عليه و آله و سلم بين الرّماح و السّيوف، فقال أخوه و كان من أمّه و أبيه هلمّ إلّي قد تبع بك و بصاحبك، أي أحيط بك و بصاحبك فقال له كذبت و اللّه لأخبرنَّه بأمرك و ذهب الى رسول اللّه ليخبره فوجده قد نزل عليه جبرئيل، بقوله: **قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ** إنتهىٰ.

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ

حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا

الشَّح، بضمّ الشّين و تشديد الحاء البخل مع حرصٍ و ذلك فيما كان عادة قاله في المفردات.

و قال في المنجد يقال شحَّ يشحّ شحّاً و شِحّاً و شُحّاً، أقول فعلىٰ هذا هو مصدر يقال رجلٌ شحيح و قومٌ أشحّة، و قال في موضع أخر، الشَّحيح جمع شحاح و أشحّة و أشُحّاء إنتهىٰ.

و كيف كان فقد إتّفق أرباب اللّغة علىٰ أنّ أشحّة جمع شَحيح و هو البخيل، و قال بعض أهل اللّغة الشُّح البخل مع حرصٍ فهو أشدَّ من البخل لأنّ البخل في المال و هو في حال و معروف يقال شَحَّ يَشحّ فهو شَحيح و قومٌ أشِحّاء و أشِحّة و منه قوله تعالىٰ: **أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ** فالشحّ اللّوم و إن تكون النّفس حريصة علىٰ المنع و أمّا البخل فأنّه المنع نفسه والشُّح مثلّث الشّين قاله في القاموس.

و في الحديث، **البخيل يبخل بما في يده والشَّحيح يشّح ويبخل بما في أيدي النّاس و علىٰ ما في يده حتّىٰ لا يرىٰ فيأيدي النّاس شيئاً إلاّ تمنّى أن يكون له و لا يَقنَع بما رزقه اللّه** و قد ورد أيضاً أنّه **لا يَجتَمع الشُّح والإيمان في قلب عبدٍ أبداً** إذا عرفت هذا فلنَرجع إلىٰ تفسير الآية فنقول:

أخبر اللّه في هذه الآية نبيّه أنّ في القوم شحاء بخلاء عليكم فقوله: **أَشِحَّةً** إنتصابه على الحال من الضّمير في يأتون، و أشحّة الثّانية حال من الضّمير المرفوع في سلقوكم و معنى الآية يأتون قومٌ أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف من الموت أو القتل ينظرون إليك يا محمّد تدور أعينهم من الخوف كالّذي يغشى عليه يعني من شدّة ما يخافون يلحقهم مثل ما يلحق من شارف الموت و يغشى عليه، فإذا ذهب الخوف، و الفزع، منهم سلقوكم، بألسنةٍ حدادٍ، أي طلبوكم الغنيمة.

و قال الحسن معناه حاوروكم، يقال خطيب مصقع و مسلق أي بليغٌ في الخطابة فصيحٌ فيها.

أقول، قول الحسن أليق و أنسب لأنّ حدّة اللّسان كناية عن بلاغته و فصاحته و قوله: **أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ،** قلنا أنّه حال من الضّمير المرفوع في، سلقوكم، و عليه فالمعنى سلقوكم هؤلاء المنافقين حال كونهم أشحّاء على الخير أي بخلاء عليه، ثمّ أخبر اللّه تعالى عن عدم إيمانهم فقال أولئك لم يؤمنوا، أي لم يؤمنوا من بدأ الأمر إلاّ على طريق النّفاق فأنّ المنافق يؤمن بلسانه و يكفر بقلبه و حيث أنّ الملاك في صدق الإيمان هو الإعتقاد بالقلب أوّلاً ثمّ الإقرار باللّسان ثانياً فانّ الايمان يتحقّق و أنّما قلنا ذلك لأنّ اللّسان حاكٍ عن القلب و إن شئت قلت هو حاكٍ عن الإيمان لا أنّه نفس الإيمان أو محلّه و إذا كان كذلك فالملاك في وجود الإيمان و عدمه هو الإعتقاد بالقلب واللّه تعالىٰ هو العالِم بالقلوب و ضمائر العباد وحيث أنّ المنافق لم يعتقد بقلبه من أوّل الأمر و أنّما أقرّ بلسانه فقط فقد أخبر اللّه تعالىٰ عن عدم إيمانه.

إن قُلت أنّهم عملوا ظاهراً عمل المؤمنين من الصّلاة و الصّوم و الحجّ و غيرها و لازم عدم إيمانهم عدم الثّواب عليها و هو ينافي قوله تعالىٰ: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**[1].

قُلتُ قوله تعالىٰ: **فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ** يدلّ علىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل لهم الثّواب علىٰ ما عملوا، ثمّ أحبط ذلك بفرارهم من الجهاد أو بخلهم و هو دليل علىٰ أنّهم لم يقصدوا وجه اللّه بأعمالهم بل قصدوا وجه الشّيطان بها و الآية تدلّ علىٰ أنّ الإحباط حَق و قوله: **كَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا** فهو إشارة الى أنّ الإحباط في الأعمال سهلٌ يسير على اللّه تعالى و قد أشار بذلك في كثيرٍ من الأيات:

١- الزّلزال = ٧

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**(٢).

قال اللّه تعالىٰ: **اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰياتِنا وَ لِقاءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ**(٣).

قال اللّه تعالىٰ: **ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ**(٤).

والحاصل أنّ مسألة الحَبط من المسّلمات.

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنْبَآئِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا

وصف اللّه المنافقين في هذه الآية بالجبن و الخوف و أنّهم ليسوا من رجال الحرب و ذلك لظنّهم أنّ الأحزاب أي الكفّار لم يذهبوا أي لم ينصرفوا عن الحرب مع أنّهم أي الكفّار كانوا إنصرفوا و أعرضوا من الحرب و لكنّهم لم يتباعدوا في السيّر، و أن يأتِ الأحزاب، أي و أن يرجع الأحزاب اليهم للقتال، يودُّوا، هؤلاء المنافقين **بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ** أي تمنّوا أن يكونوا مع الأعراب حذراً من القتل و تربُّصاً للدّوائر **يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنْبَآئِكُمْ** النبأ الخَبر أي يسألون عن أخبار النّبي، أما هلك محمّد و أصحابه، أما غلب أبو سفيان و أحزابه فيتربّصون بكم الدّوائر و يتوقّعون الهلاك ثمّ قال تعالىٰ لنبيّه (ولو كانوا) هؤلاء المنافقين معكم و فيكم، ما قاتلوا إلاّ قليلاً، أي قدراً يسيراً ليوهموا أنّهم في جملتكم لا لينصروكم و يجاهدوا معكم، و قيل كان منهم في أطراف المدينة من لم يحضر الخندق و جعلوا يسألون عن أخباركم و يتمنّون هزيمة المسلمين و محصّل الكلام في هذه الآية هو أنّ النّفاق داء معضل لا دواء له إلاّ الإيمان من صميم القلب و العمل بمقتضاه.

١- المائدة = ٥
٢- الانعام = ٨٨
٣- الأعراف = ١٤٧
٤- محمّد = ٩

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيرًا

لمّا ذكر اللّه تعالىٰ أوصاف المنافقين و غيرهم من المؤمنين و عظهم و أمرهم بالتأسّي برسول اللّه في جميع أمورهم فعلاً و قولاً و الاسوة بضمّ الألف الإقتداء و التأسّي بالغير.

و من المعلوم أنّ العاقل لا يقتدي إلاّ بمن هو أصلح منه و لا يوجد بل و لن يوجد إنسانٌ في عالم الوجود الىٰ يوم القيامة أصلح و أليق من رسول اللّه الّذي قال اللّه تعالىٰ فيه **لولاك لَما خَلقتُ الأفلاك** فمن إقتدىٰ به صلى الله عليه وآله وسلم فقد إهتدى.

و قال بعض المفسّرين، هذا الكلام من اللّه تعالىٰ في الحقيقة عتابٌ للمتخلّفين عن القتال من حيث أنّهم لم يقتدوا برسول اللّه في حفر الخندق و البقاء على الجهاد، و علىٰ هذا، فمعنى الآية كان لكم قدوة في النّبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين اللّه في حروبه و خروجه الىٰ الخندق إنتهىٰ.

أقُول ما ذكره لا بأس به و يؤيّد سياق الآية إلاّ أنّ حمل الكلام علىٰ معناه العامّ الشّامل له ولغيره من الأعمال و الأقوال في جميع الشّئون أولىٰ فأنّ الإقتداء بالرّسول لا يختصّ بفعلٍ دون فعلٍ بل هو حكمٌ كليّ في جميع الأمور.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مٰا آتٰيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**[1].

تنبيهٌ

لو عمل المسلمون بهذه الآية و أقتدوا برسول اللّه في أفعاله و أقواله و أخلاقه حصلت العزّة لهم في الدُّنيا و الأخرة و لكنّهم مع الأسف أعرضوا عمّا ذكرّوا به في هذه الآية و أمثالها و أقتدوا في دينهم و دنياهم بمن شاؤوا وأرادوا بمقتضى أهواءهم و أميالهم النّفسانية و أنّما فعلوا ذلك في حياة النّبي و بعد

١- الحشر = ٧

موته لأنّهم لم يؤمنوا باللّه و رسوله واقعاً و أنّما آمنوا بألسنتهم و كانت قلوبهم خالية من الإعتقاد الجازم الثّابت و كانوا ينتهزون الفرصة لإظهار ما في قلوبهم من الحقد و الغلّ فلمّا مات النّبي أظهروا ما في بطونهم، فبدّلوا عدله صلى الله عليه وآله وسلم بالظّلم و صدقه بالكذب و أمانته بالخيانة و رحمه و شفقته بالقساوة و بالجملة أحلّوا حرامه و حرّموا حلاله فسلّطوا علىٰ المؤمنين من لم يرحمهم أبداً حتّىٰ وصلت النّوبة الى أراذل بني أميّة و أولاد العبّاس فقلّبوا دين اللّه بالكلّية و غيّروا أحكامه و قتلوا خيار النّاس من أولاد الرّسول و صلحاء المؤمنين و هكذا و الباعث علىٰ جميع هذه الأمور هو المنافقون في صدر الإسلام و هم الّذين قال اللّه تعالىٰ فيهم:

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ[1].

و قال: **فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**[2].

و للبحث في هذه الآية مجالٌ واسع إلاّ أنّه يوجب خروجنا عمّا نحن بصدده من تفسير ألفاظ الأيات علىٰ وجه الإختصار وللّه عاقبة الأمور.

و أمّا قوله تعالىٰ: **لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَ ذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ففيه إشارة الىٰ أنّ التأسّي بالنّبي الّذي أمر اللّه به أنّما ينفع لمن كان يرجوا اللّه أي يرجوا ثوابه يوم القيامة و ذكر اللّه كثيراً، في جميع أحواله و أنّما قيّد اللّه التّأسي بها لأنّ الإقتداء بالرّسول فرعٌ علىٰ التّوحيد فمن لا يعرف اللّه و اليوم الأخر كيف يرجوا ثوابه و كيف يقتدي بالنّبوة و الرّسالة و من لا يعتقد باللّه و رسوله و اليوم الأخر لا ينفعه التأسي.

١- إبراهيم = ٢٨ ٢- البقرة = ٥٩

وَ لَمّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزابَ قالُوا هٰذا ما وَعَدَنَا ٱللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ ٱللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلّآ ايمانًا وَ تَسْليمًا

لمّا ذكر اللّه أوصاف المنافقين و أشار الىٰ جبنهم و خوفهم و أنّهم كانوا بصدد الفرار، أشار الىٰ أوصاف المؤمنين و إن كانوا قليلين فوصفهم اللّه بأحسن ما يمكن أن يوصف به أحد، فأشار أوّلاً الىٰ سرورهم و فرحهم لمّا رأوا الأحزاب مقهورين مغلوبين فقالوا هذا، أي الفتح، و الغلبة علىٰ الكفّار، ما وعدنا اللّه و رسوله و صدق اللّه و رسوله في هذا الوعد، و ما زادهم، ما، نافية، أي ما رأوه من النَّصر و الغلبة على الأعداء لم يزدهم إلاّ إيماناً و تسليماً.

و بعبارة أخرى صارت رؤيتهم ذلك سبباً لتقوية إيمانهم و تسليمهم للّه و رسوله و ذلك لأنّهم علموا أنّ النَّصر بيد اللّه:

قال اللّه تعالىٰ: **إِنْ تَنْصُرُوا ٱللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ ٱلَّذينَ ءامَنُوا فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيا**[2].

قال اللّه تعالىٰ: **إِنْ يَنْصُرْكُمُ ٱللّٰهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا ٱلَّذى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ**[3] والأيات كثيرة.

مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا ٱللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْديلًا

كلمة، مِن، في قوله: **مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ** تبعيضيَّة قسَّم اللّه تعالىٰ المؤمنين باللّه و رسوله إلىٰ صنفين، صنفٌ منهم صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه من مجاهدة أعداء الإسلام و أن لا يولُّوا الأدبار.

١- محمّد = ٧ ٢- غافر = ٥١

٣- آل عمران = ١٦٠

و صنفٌ منهم لم يصدقوا بما عاهدوا اللّه عليه و لم يفوا بعهدهم، ثمّ قسّم الأوّل أيضاً فقال و منهم أي من الّذين صدقوا بما عاهدوا اللّه عليه من قضى نحبه أي صبر حتّى قتل في سبيل اللّه دخل فى ثواب ربّه و إستقرّ في جوار رحمته و منهم من لم يقتل و لكنّه ينتظر الموت و الشّهادة في سبيل اللّه و ما بدّلوا تبديلاً، أي لم يبدّلوا الإيمان بالنّفاق و لا العهد بالحنث.

قيل نزلت الآية في غزوة بدر يوم تأخّروا عنه ثمّ عاهدوا أن لا يفارقوا النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته و قيل نزلت في حمزة بن عبد المطّلب و جعفر بن أبي طالب و علّي بن أبي طالب (عليهم السّلام) و ذلك لأنّ حمزة و جعفر قد قضى نحبهما و قتل في سبيل اللّه قتل حمزة بن عبد المطّلب في أُحد و جعفر إبن أبي طالب في غزوة مؤتة و أمّا علّي بن أبي طالب فهو ممّن ينتظر الشّهادة حتّى قتل في مسجد الكوفة و الحقّ أنّهم من مصاديقها الأتّم وأن كانت لا تَنحَصر بهم.

لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِنْ شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

ثمّ بيّن اللّه تعالىٰ أنّه يجزي الصّادقين و هم الّذين صدقوا ما عاهدو اللّه عليه، على صدقهم و ثبات أقدامهم في طريق الإيمان فوعدهم اللّه بالثّواب الدّائم و النّعيم المقيم و أمّا المنافقون الّذين لم يفوا بعهدهم و بدّلوا إيمانهم و لم ينصروا الإسلام فاللّه تعالىٰ أن شاء يعذّبهم وأن شاء يوّفقهم علىٰ التّوبة فأنّ اللّه يغفر الذّنوب و هو رحيم بعباده.

و قال بعض المفسّرين معناه أن شاء قبل توبتهم و أن شاء لم يقبل ذلك والوجه فيه أنّ قبول التّوبة منه تعالىٰ تفضّلٌ منه لا أنّه يجب عليه عقلاً قبولها فما ورد في السّمع من أنّه تعالى يغفر الذّنوب جميعاً يحمل عليه لا على الوجوب العقلي و البحث فيه موكولٌ إلىٰ محلّه.

وَ رَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَ كَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتالَ وَ كانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

أخبر اللّه تعالىٰ أنّه ردَّ المشركين أعني بهم أبا سفيان و من تبعه عن حوالي المدينة خائباً خاسراً و أنّهم لم ينالوا خيراً أمَّلوه من الظَّفر فرجعوا إلىٰ أوطانهم و كفى اللّه المؤمنين القتال و كان اللّه قوّياً عزيزاً، فلا قوّةَ إلاّ به، و لا عِزَّ إلاّ عزّه فهو القادر القاهر الغالب علىٰ كلّ شيءٍ فإذا أراد اللّه شيئاً لا مرَّد له يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

وَ أَنْزَلَ ٱلَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا

المظاهرة المعاونة و هي زيادة القوّة بأن يكون المعاون ظَهراً لصاحبه في الدّفع عنه و الظّهر المعين و الصّياصي الحصُون التّي يمتنع بها واحدها صيصة و المراد بهم في الآية بنو قريظة من اليهود و هم الّذين كانوا من أهل الكتاب فأنّهم عاونوا قريشاً و غطفان يوم الأحزاب.

و قوله: **وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ** فالقذف الرَّمي و المعنى أرعبهم اللّه عن النّبي و أصحابه مع كثرتهم، و هذا معنىٰ قوله ﷺ: **أنّا مَنصُورٌ بالرُّعب** والوجه فيه واضح فأنّ القلوب بيد اللّه.

و قوله: **فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا** فهو إشارة إلىٰ قصّة بني قُريظة و قد مضىٰ خبرهم حكم سعد بن معاذ فيهم بعد أن رضوا بحكمه بميلهم و إرادتهم، فحكم سعد بقتل الرّجال و سبي الذّراري و النّساء و تقسيم الأموال و تكون الأرض للمهاجرين دون الأنصار، و لمّا قيل له في ذلك قال في جواب الأنصار، لكم دار و ليس للمهاجرين دار فقال رسول اللّه حكم فيهم بحكم اللّه تعالىٰ فقتل الرّجال و سبي الذّراري و النّساء و قسم أموالهم و أراضيهم علىٰ ما هو مسطور في التّواريخ.

و إلى هذا المعنىٰ أشار اللّه تعالىٰ بقوله:

وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا

و المعنى أورثكم اللّه أرض بني قريظة و ديارهم و أموالهم، و هذا ما حكم به سعد بن معاذ علىٰ ما مرَّ.

و أمّا قوله: **وَ أَرْضًا لَمْ تَطَؤُها** فقيل هي أرض فارس و الرُّوم، و قيل هي مكّة، و قيل خيبر، **وَ كانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**، و هو ممّا ثبت عقلاً و نقلاً، إلى هاهنا إنتهت قصّة الأحزاب و فيها من المواعظ و التّذكير و التوجّه إلىٰ المعبود و عدم الإعتماد على الخلق و تبعات نقض العهد في الدّنيا و الأخرة و غيرها ممّا لا يخفى على من تأمّل فيها و إعتبر بها أنّ في ذلك لأياتٍ لقومٍ يتفكّرون.

يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَهٰا فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحًا جَمِيلًا، وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا

لمّا بيّن اللّه تعالىٰ قصّة الأحزاب إنتقل إلىٰ خطاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له يا أيّها النّبي، الآية إعلم أنّ الزّوج يقال لكلّ واحدٍ من الفريقين من الذّكر والأُنثىٰ في الحيوانات المتزاوجة و أيضاً يقال لكلّ قرينين فيها و في غيرها كالخفّ و النّعل و لكلّ ما يقترن بأخر مماثلاً له أو مضّاد أيضاً يقال زوجٌ و جمعه علىٰ أزواج و المراد بها في الآية أزواج النّبي أي نسائه خيَّرهن بين الدّنيا و الأخرة و ليس هذا تخيير طلاق بل هو تخيير بين الدَّارين قالوا كان للنّبي أزواجٌ منهنّ مَن دخل بها و منهُنّ من عقد عليها و لم يدخل بها و منهنّ من خطبها فلم يتمّ نكاحه معها وإليك تفصيل الأزواج علىٰ ما ذكروه في التّواريخ و السّير.

فأَوَّلهُن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصيّ بن كلاب و كانت قبله عند أبي هالة و إسمه زرارة بن النّباش الأسدي و كانت قبله عند عتيق بن عائذ ولدت منه غلاماً إسمه عبد مناف و ولدت من بني هالة هند بن أبي هالة و عاش إلى زمن الطّاعون فمات فيه و يقال أنّ الّذي عاش إلىٰ زمن الطّاعون هند بن هند و قيل غير ذلك ولم يتزوّج رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ خديجة غيرها حتّىٰ ماتت و كانت يوم تَزوّجها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بنت أربعين سنة و توفّيت بعد أن مضىٰ من النّبوة سبع سنين و قيل عشر و كان لها حين توَّفيت خمس و ستُون سنة و هي أوَّل إمرأةٍ أمنت به و جميع أولاده صلى الله عليه وآله وسلم منها غير إبراهيم فأنّ أمّه مارية القبطيّة.

قال حكيم بن حزام توَّفيت خديجة فخر جنابها مِن منزلها حتّ دفَّناها بالحجون و نزل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في حفرتها و لم تكن يومئذٍ سنّة الجنازة الصّلاة عليها.

و منهُنّ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامريّة أسلمت قديماً و بايعت و كانت عند إبن عمّ لها يقال له السّكران بن عمرو و أسلم أيضاً و هاجرا جميعاً إلىٰ أرض حبشة في الهجرة الثّانية فلمّا قدما مكّة مات زوجها و قيل مات بالحبشة فلمّا حلّت خطبها رسول اللّه فتزوّجها و دخل بها مكّة و هاجر بها إلىٰ المدينة فلمّا كبرت أراد طلاقها فسألته أن لا يفعل و أن يدعها في نسائه و جعلت ليلتها لعائشة فأمسكها و توَّفيت بالمدينة في شوال سنة أربع و خمسين.

ومِنهنّ عائشة بنت أبي بكر و كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول اللّه فقال أبوبكر يا رسول اللّه دعني أسلّها من جبير سلاًّ رفيقاً فتزوّجها رسول اللّه بمكّة قبل الهجرة بسنتين و قيل بثلاث و بنى لها بالمدنية و هي بنت تسع و بقيت عنده تسع سنين و مات رسول اللّه و هي بنت ثمان عشرة و لم يتزوّج بكراً غيرها و ماتت سنة تسع و خمسين و قيل ثمان و خمسين.

ومنهنّ حفصة بنت عمر بن الخطّاب القرشيّة العدويّة تزوّجها رسول اللّه قال الواقدي و توفّيت في شعبان سنة خمس و أربعين في حكومة معاوية و هي إبنة ستّين سنة وقيل ماتت في خلافة عثمان بالمدينة.

و منهُنّ أمّ سلمة و إسمها هند بنت أميّة المخزوميّة و إسمه سهيل، تزوّجها رسول اللّه ﷺ في سنة أربع و توفّيت في سنة تسع و خمسين و قيل ثنتين و ستّين و دفنت بالبقيع و هي إبنة أربع و ثمانين سنة.

و منهُنّ أمّ حبيبة و إسمها رملة بنت أبي سفيان بعث رسول اللّه عمرو بن أميّة الضّمري إلىٰ النّجاشي ليخطب عليه أمّ حبيبة فزوّجه إيّاها و ذلك سنة سبع من الهجرة و أصدق النّجاشي عن رسول اللّه ﷺ أربع مائة دينار و بعث بها مع شرحبيل بن حسنة و توفّيت سنة أربع و أربعين قيل كانت أمّ حبيبة تحت عبيد اللّه بن جحش فمات بأرض الحبشة على النّصرانية فزوّجها النّجاشي للنّبي ﷺ و أمهرها عنه أربعة ألاف و بعث بها إلى المدينة مع شرحبيل بن حسنة.

و مِنهُنّ زينب بنت جحش بن رباب الأسديّة و كان إسمها برّة فسمّاها رسول اللّه زينب و كان إسم أبيها برّة فقالت يا رسول اللّه بدِّل إسم أبي فأنّ البرّة حقيرة فقال لها النّبي لو كان أبوك مؤمناً سمّيناه بإسم رجلٍ منّا أهل البيت و لكنّي قد سمّيته جحش و الجحش من البرّة ذكر هذا الحديث الدّار قطني تزوّجها رسول اللّه في سنة خمس من الهجرة و توفّيت سنة عشرين و هي بنت ثلاث و خمسين سنة.

و منهُنّ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد اللّه بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلاليّة كانت تسمّى في الجاهليّة أمّ المساكين لإطعامها إيّاهم تزوّجها رسول اللّه علىٰ رأس واحد وثلاثين شهراً في رمضان، مضت من الهجرة فكانت عنده ثمانية أشهر و توفّيت في حياته في أخر ربيع الأوّل على رأس تسعة و ثلاثين شهراً و دفنت بالبقيع.

و منهُنّ جويريّة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعيّة أصابها في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت قيس بن شمّاس فكاتبها فقضى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم كتابتها و تزوّجها و ذلك في شعبان سنة ستّ و كان إسمها برّة فسمّاها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم جويريّة توفّيت في ربيع الأوّل سنة ستّ و خمسين و هي إبنة خمس و ستّين.

و منهُنّ صفيّة بنت حيّ إبن أخطب الهارونيّة سباها النّبي يوم خيبر و أصطفاها لنفسه و أسلمت و أعتقها و جعل عتقها صداقها، و قيل أنّها وقعت في سهم دحية الكلبي فأشتراها رسول اللّه بسبعة أرؤس و ماتت في سنة خمسين و قيل إثنتين و خمسين و دفنت بالبقيع.

و منهُنّ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النَّضير سباها رسول اللّه و أعتقها و تزوّجها في سنة ستّ و ماتت مرجعةً من حجّة الوداع فدفنها بالبقيع و قال الواقدي ماتت سنة ستّ عشرة و صلّى عليها عمر، و قال أبوالفرج الجوزي أنّه صلى الله عليه و آله و سلم كان يطؤها بملك اليمن و لم يعتقها و لذالك لم يعدوّها في عداد أزواج النّبي.

و منهُن ميمونة بنت الحارث الهّلالية تزوّجها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، بسرف على عشرة أميال من مكّة في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضيّة و هي آخر إمرأةٍ تزوجها رسول اللّه و قدَّر اللّه تعالى أنّها ماتت في المكان الّذي بنى فيه رسول اللّه بها و دفنت هنالك و ذلك في سنة إحدىٰ و ستيّن و قيل ثلاث و قيل ثمان و ستّين:

فهؤلاء المشهورات من أزواج النّبي صلى الله عليه و آله و سلم و هنّ اللاّتي دخل بهنّ فأمّا من تزوّجهن و لم يدخل بهنّ.

و فمنهُنّ الكلابيّة و إختلفوا في إسمها فقيل فاطمة و قيل عمرة و قيل العالية و هي التّي إستعاذت منه صلى الله عليه و آله و سلم فطلّقها و كانت تقول أنا الشَّقية تزوّجها في شهر ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة و توفيّت سنة ستّين.

و منهُّن أسماء بنت نعمان بن الجون و هي الجونّية و طلّقها.

و منهنّ فتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس زوّجها أيّاه الأشعث ثمّ إنصرف الىٰ حَضرمُوت فحملها اليه فبلغه و فات النّبي ﷺ فردّها الىٰ بلاده فإرتدّ و إرتدّت معه.

و منهنّ أمّ شريك الأزدية و إسمها غزيّة.

و منهُنّ خولة بنت الهذيل.

و منهُنّ شراف بنت خليفة أخت دحية.

و منهُنّ عمرة، و العفارية، و أمّا السّراري فاثنتان، مارية القبطية، و ريحانة هذا ما ذكره القرطبي[1] في تفسيره لهذه الآية و نحن نقلناه عن كتابه و العهدة عليه و لا يهمنا البحث في هذا الباب لكثر الإختلاف فيما ذكروه و أنّما تعرّضنا لإسماء الأزواج تبعاً للقوم و كيف كان لا شكّ في أنّ النّبي ﷺ كان له أزواجاً كثيرة و لذلك قال اللّه تعالىٰ مخاطباً لنبيّه: **يٰٓ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِكَ** و لايضرّنا الإختلاف في العدد و النّسب و غير ذلك.

إذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ تفسير ألفاظ الآية فنقول: **يٰٓ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيٰا وَ زِينَتَهٰا فَتَعٰالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرٰاحًا جَمِيلًا** أمر اللّه نبيّه أن يقول لأزواجه، إن كنتنّ تُردن الحياة الدُّنيا، و بقاءها و زينتها فتعالين أمتعكنّ و أسرّحكنّ، أي أعطيكنّ من مالي بقدر ما تتمتعنّ به و أسرّحكنّ، الإسراح الإرسال يقال سرحت الإبل سرحاً و سروحاً، أي رعت بنفسها و قوله: **سَرٰاحًا جَمِيلًا**، معناه واضح و السّراح الجميل عبارة عن التّطليق علىٰ وجه التّراضي.

وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ ٱلدّٰارَ ٱلْاٰخِرَةَ فَإِنَّ ٱللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنٰاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا أي وأن تردن اللّه ورَسوله لا الدّنيا وزينتها فأنّ اللّه أعدَّ أي هيّأ لمن أحسنت منكنّ و حفظت إيمانها أجراً عظيماً يوم

١- ج ١٤ ص ١٦٤

القيامة ومحصّل الكلام أنّ اللّه تعالىٰ خيرهنّ بين المقام مع النّبي و إختيار ما عند اللّه من الثّواب و مفارقتهنّ بالطّلاق و تحصيل المنافع يأخذونها و يلتذّون بها و أنّما قيدهنّ بالمحسنات لعلمه تعالىٰ بأنّ منهنّ من ليس مِن المحسنات بإرتكابها ما يستحقّ به الخروج عن و لاية اللّه فزجرهنّ بالتّهديد المذكور في الآية كما فعلت عائشة بنت أبي بكر في قصّة الجمل.

قال بعض المفسّرين من العامّة إختلف العلماء في كيفيّة تخيير النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه علىٰ قولين:

الأوّل: أنّه خيرهنّ بإذن اللّه تعالىٰ في البقاء علىٰ الزّوجية، أو الطّلاق فإخترن البقاء قالته عائشة و مجاهد و عكرمة و الشّعبي و إبن شهاب و ربيعة.

الثّاني: قال بعضهم أنّما خيرهنّ بين الدّنيا فيفارقهنّ، و بين الأخرة فيمسكهنّ لتكون لهنّ المنزلة العليا كما كانت لزوجهنّ و لم يخيّرهنّ في الطّلاق ذكره الحسن و قتادة و نقل عن أحمد بن حنبل أنّه قال، لَم يخيّر رسول اللّه نساءه إلاّ بين الدّنيا و الأخرة إنتهىٰ.

و قال الشّيخ قدس سره في التّبيان بعد نقله عن الحسن أنّه لا يرىٰ التّخيير شيئاً، و قال أنّما خيرهنّ بين الدّنيا و الأخرة لا في الطّلاق ما هذا لفظه و كذلك عندنا أنّ الخيار ليس بشئ غير أنّ أصحابنا قالوا كان ذلك لنبيّ اللّه خاصّة إنتهىٰ ما أردنا نقله عنه.

و أمّا سبب نزول الآية فقيل أنّ كلّ واحدةٍ من نساءه طلبت شيئاً، فسألت أمّ سلمة ستراً معلّقاً و سألت زينب بنت جحش برداً يمانيّاً، و سألت أمّ حبيبة ثوباً سعوافيّاً و سألت حفصة ثوباً من ثياب مصر و سألت جويريّة معجراً و سألت سؤدة قطيفة خيّبرية فلم يقدر علىٰ ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ كان خيّره صلى الله عليه وآله وسلم بين ملك الدّنيا و نعيم الأخرة فإختار الأخرة و قال صلى الله عليه وآله وسلم: **اللّهم أحيني مِسكيناً و أمتني مسكيناً وأحشرني مسكيناً في جملة المساكين** فحينئذٍ أمره اللّه تعالىٰ بتخيير النّساء فإختّرن اللّه و رسوله فعوّضهنّ اللّه من ذلك أن جعلهنّ أمّهات المؤمنين و كانت النّساء يومئذٍ تحته، تسع نسوة، خمس من قريش

عائشة و حفصة، أمّ حبيبة، أمّ سلمة، و سؤدة و اربع نسوة من غير قريش، صفية، زينب بنت جحش، جويريّة و ميمونة بنت الحارث الهلالية.

يَا نِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرًا

قيل لمّا إختار نساء النّبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول اللّه شكرهنّ اللّه على ذلك فقال اللّه، تكرمةٍ لهنّ) لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: **لا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنْ بَعْدُ وَ لَآ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**[1].

و سيأتي الكلام فيها.

والحكم الثّاني: في قوله تعالىٰ: **وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللّٰهِ وَ لَآ أَنْ تَنْكِحُوٓا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**[2].

الثّالث: جعل ثواب طاعتهن و عذاب معصيتهنّ أكثر ممّا لغيرهن فقال: **يَا نِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ** و هي الّتي نبحث فيها فعلاً.

قال الرّاغب في المفردات الفحش و الفحشاء ما عظم قبحه من الأفعال و الفاحشة المبيّنة كناية عن الزّناء، قيل و أنمّا جاز أن يضعّف عقابهنّ بالمعصية لعظم قدرهنّ و شرف منزلتهنّ و فضل درجتهنّ و تقدّمهنّ علىٰ سائر النسّاء و ذلك أنّه كلمّا تضاعفت الحرمات فهتكت، تضاعفت العقوبات و لذلك ضوعف حدّ الحرّ علىٰ العبد و الثّيب علىٰ البكر و لما كان أزواج النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في مهبط الوحي و في منزل أوامر اللّه و نواهيه، قوّي الأمر عليهنّ و لزمهنّ بسبب مكانتهنّ أكثر ممّا يلزم غيرهنّ فضوعف لهنّ الأجر و العذاب و قيل في وجه ذلك لعظم الضّرر في جرائمهنّ بإيذاء رسول اللّه فكانت العقوبة على قدر عضم الجريمة في إيذاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و قيل غير ذلك و الكلّ لا دليل عليه من الشّرع بل هو من المستخرجات العقليّة بل الظّنية و كيف كان فهذا

١- الأحزاب = ٥٢ ٢- الأحزاب = ٥٣

الحكم ثابت بنصّ الكتاب من اللّه تعالىٰ و أمّا علّة الحكم فهو أعلم بما قال ثمّ أخبر اللّه تعالىٰ أنّ تضعيف ذلك على اللّه سهلٌ يسيرٌ.

قال المفسّرون الضِّعف مثل الشّئ الّذي يضمّ إليه يقال ضاعفته إزددت عليه مثله و منه الضُّعف و هو نقصان القُّوة.

و قال أبو عبيدة يضاعف لها ضعفين أي يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لأنّ ضعف الشّئ مثله و ضعفي الشّئ مثلاه.

و قال النّحاس ما ذكره أبوعبيدة لا يعرفه أحد من أهل اللّغة و المعنى في يضاعف و يضعف واحد أي يجعل ضعفين، أقول العجب ثمّ العجب أنّ عائشة فعلت ما فعلت في خروجها عن بيتها في قصّة الجمل و حربها لعلّي أميرالمؤمنين عليه السلام و قتلها كثيراً من المسلمين في البصرة و لم تخف اللّه و رسوله مع علمها بهذه الأيات و معرفتها بمقام أميرالمؤمنين عند اللّه و رسوله و لم تندم عمّا فعلت إلىٰ أخر عمرها و ماتت علىٰ بغض علّي عليه السلام و قد سمعت عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لعلّي: **ياعلّي حربك حربي و سلمك سلمي من أحبّك فقد أحبّني و من أبغضك فقد أبغضني** و أمثال ذلك ممّا ورد في الباب.

و أعجب من ذلك أنّ العامّة و لا سيّما علمائهم يفتخرون بوجودها في الإسلام و يأخذون دينهم عنها و لذلك ترىٰ كتبهم و لا سيّما صحاحهم مملوءةٌ من الأحاديث المرّوية عنها في جميع الأحكام و أن شئت قلت هي أمّ المؤمنين حقيقةً لا غيرها و يروون حديثاً عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال خذوا أحكام دينكم عنها فأنّها صادقة عالمة بالأحكام، و من أخذ دينه من إمرأةٍ متّصفةٍ بهذه الأوصاف فهو أخبث منها و إذا كان مبيّن أحكام الإسلام بعد رسول اللّه عائشة و أبوهريرة و أمثالهما فعلى الإسلام السّلام.

وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، إِنَّا لِلّٰهِ وَ إِنَّآ إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ، هذا أخر الكلام في تفسير الجُزء الحادي و العشرين و يتلوه الجزء الثّاني و العشرون.

■

الفهرست

سُورَةُ ٱلنَّمْلِ ٩

الآيات ٥٩ الى ٧٥ ..... ٩

اللّغة ١٠

الإعراب ١٠

التّفسير ١٠

الآيات ٧٦ الى ٩٣ ..... ٣٢

اللّغة ٣٣

الإعراب ٣٤

التّفسير ٣٤

■

سُورَةُ ٱلْقَصَصِ ٥٧

الآيات ١ الى ٧٥ ..... ٥٧

اللّغة ٦٤

الإعراب ٦٥

التّفسير ٦٦

الآيات الى ٧٦ الى ٨٨ ..... ١٤٥
اللّغة ١٤٦
الإعراب ١٤٧
التّفسير ١٤٧

■

سُورَةُ ٱلْعَنْكَبُوتِ ١٦٣

الآيات ١ الى ٢٣ ..... ١٦٣
اللّغة ١٦٥
الإعراب ١٦٥
التّفسير ١٦٦
الآيات ٢٤ الى ٤٥ ..... ١٩٥
اللُّغة ١٩٧
الإعراب ١٩٧
التّفسير ١٩٨
الآيات ٤٦ الى ٦٩ ..... ٢٢٥
اللّغة ٢٢٧
الإعراب ٢٢٧
التّفسير ٢٢٨

■

سُورَةُ ٱلرُّومِ ٢٦٣

الآيات ١ الى ٢٥ ..... ٢٦٣
اللّغة ٢٦٥

الإعراب ٢٦٥
التّفسير ٢٦٦
الآيات ٢٦ الى ٤٥ ..... ٢٩٤
اللّغة ٢٩٦
الإعراب ٢٩٦
التّفسير ٢٩٧
الآيات ٤٦ الى ٦٠ ..... ٣٢٤
اللّغة ٣٢٥
الإعراب ٣٢٥
التّفسير ٣٢٦

■

سُورَةُ لُقْمانَ ٣٤٧

الآيات ١ الى ٢٤ ..... ٣٤٧
اللّغة ٣٥٠
الإعراب ٣٥١
التّفسير ٣٥١

■

سُورَةُ ٱلسَّجْدَةِ ٤٠٧

الآيات ١ الى ١٦ ..... ٤٠٧
اللّغة ٤٠٨
الإعراب ٤٠٩
التّفسير ٤٠٩

الآيات ١٧ الى ٣٠ ..... ٤٣٧
اللّغة ٤٣٨
الإعراب ٤٣٨
التّفسير ٤٣٨

■

سُورَةُ ٱلْأَحْزَابِ ٤٥٣

الآيات ١ الى ٣٠ ..... ٤٥٣
اللّغة ٤٥٦
الإعراب ٤٥٧
التّفسير ٤٥٨

■